النصيحة فقهها شروطها ضوابطها

عبد الله بن عبد الحميد الأثري

مصدر هذه المادة :







النصيحة

فقهها، شروطها، ضوابطها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من أعظم القربات بين المسلمين، ومن أهمها بعد التوحيد محاولة رَصِّ صفوف المسلمين، وتوحيد كلمتهم، وإشـــاعة الأُلفة والمحبة بينهم، وهذا لا يكون إلا بعد مراعاة ما أوجبه الله من حقوق الأخوة، والآخرة لا تدوم إلا بالحب المتبادل والتضحية من أجلها، والنصيحة والتناصح من أعظم مقومـــات الأخـــوة في الله، ولأهمية النصيحة جعلها النبي ﷺ من الدين، وبايع بعض الصـــحابة على النصح لكل مسلم.

ولما للنصيحة من مكانة عظيمة يلتئم بها المجتمع المسلم، ويصبح مجتمعاً ربانياً، كان علينا أن نفقه النصـــيحة ، ونفقـــه شـــروطها وضوابطها وزمانها وعواملها ومقوماتها؛ حتى تتدارك بعض الأخطاء والهفوات التي يقع فيها بعض الناصحين من الآمـــرين بـــالمعروف وغيرهم سهواً وغفلة؛ بحيث تتحول النصيحة من تغيير وإصلاح إلى تنفير، ومن صفاء إلى تعكير.

ومن هذا المنطلق أوجه هذه الرسالة إلى إخواننا الدعاة خاصة والمسلمين عامة، وإلى القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ونسأل الله تعالى أن يؤلف بين قلوبنا، ويصلح ذات بيننا، ويوحـــد صفوفنا إنه سبحانه قادر على ذلك.

تعريف النصحية:

"نصح" لغةً: نصح الشيء، إذا خلص من الشوائب، وقيل: إنها مأخوذة من نصحتُ العسل إذا صفيتَه من الشمع؛ فشُبِّه تخلـيص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط. والنُّصحُ: نقيض الغش.

واصطلاحاً: النصح إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش. والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخـير للمنصوح له. والخلاصة: أن يخلص الناصح نيته في قوله، وفعله إذا أراد أن ينصح أخاه المسلم، فلا يقصد بذلك أي غرض من أغراض الدنيا، أو الانتصار للنفس، أو الانتقاص للمنصـوح، وأن تكـون النصحية بأحسن أسلوب.

حكم النصيحة

اختلف العلماء في حُكم النصيحة، فقال بعضهم: فرض عين، وقال آخرون: فرض كفاية، مع اتفاقهم على وجوبها، والذي يظهر والله أعلم؛ أن منها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفايـة، ومنها الواجب، ومنها المستحب؛ حسب ظروف وإمكانات الفرد، وقدر طاقته، مع بقاء وجوبه على المسلم تجاه أخيـه المسـلم، إذا توافرت الشروط الآتية:

١- أن يقدر على النصح، فلا يكون هناك مـانع حسـي أو معنوي.

٢- أن يعلم أن المنصوح يقبل نصحه، ولا يكون هنـاك رد فعل من جراء النصيحة، ولا يترتب عليه أيضاً وقوع مفسدة.

٣- أن يأمن على نفسه وماله من المكروه الضارّ.

النصيحة كما وردت في كتاب الله تعالى

النصيحة في القرآن وردت صفةً من صفات الأنبياء والصالحين، ولها الفضل والدلالة على الخير. قال تعالى مخبراً عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ**﴾ أي: أتحرى ما فيه صلاحكم. وقوله تعالى مخبراً عن نبيه هود عليه السلام: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ أي: ناصح لكم فيما أدعوكم إليه. فهذه النصوص القرآنية تفيد أن النصيحة من أبلغ ما يوجهها الأنبياء -عليهم السلام- إلى قومهم، وأنها تؤتي ثمارها في حالة السلب والإيجاب بالنسبة للنصاح، وذلك لثبوت الأجر عند الله تعالى.

النصيحة كما وردت في السنة المطهرة

قال ﷺ: «**إن الله يرضي لكم ثلاثاً: يرضى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم**» [رواه مسلم]. وقال ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتَّبِعْه**» [رواه مسلم] وعن جرير قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم". وعن تميم بن أوس الداريُّ -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله**

وأئمة المسلمين وعامتهم» [رواه مسلم]. وبما أن الحديث الـــذي رواه تميم الداريُّ من أشمل الأحاديث في هذا الباب، فسوف أشرحه بإيجاز، منع بيان مكانة هذا الحديث عنـــد علمـــاء أهـــل الســـنة والجماعة.

منزلة حديث "الدين النصيحة":

هذا الحديث جليل القدر وعظيم الشأن، ثم هو قليل الألفاظ، كثير الفوائد والمعانين بل إن أحكام الإسلام داخلةٌ تحته؛ لأنه ينص على أن عماد الدين وقوامه النصيحة، فبوجودها يبقى الدين قائمًـــا في المسلمين، وبعدهما يدخل النقص على المسلمين في جميع شؤون حياتهم. وأهمية هذا الحديث تأتي من أهمية النصيحة الـــتي جعلـــها رسول الله ﷺ قوام الدين وعماده، وقد حدّد ﷺ الناصح والمنصوص بشكل واضح؛ فالناصح هو كل مسلم آمن بالله ربًا، وبالإســـلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، وكل هذا قد بينه ﷺ في قوله: «**الـــدين النصيحة**» فمن التزم بدين الإسلام وجب أن يكون ناصحًا.

أما المنصوح: فقد بينه ﷺ بقوله: «النصـــيحة لله، ولكتابـــه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

ولربما يسأل المرء نفسه: كيف تكون النصيحة لهذه الأصناف؟ الجواب وبالله التوفيق:

١- النصيحة لله: النصيحة لله تعالى معناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصـــفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه -سبحانه وتعـــالى- مـــن جميـــع

النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب في والـــبغض فيه، وموالاة من أطاعة ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفـــر بـــه والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والإخلاص في جميـــع الأمـــور، والدعوة إلى جميع الأصناف المذكورة، والحث عليها، والتلطف مع جميع الناس ودعوهم إليها، وخلاصة القول: أن يكـــون الإنســـان مطيعًا لله بفعل أمره وترك نهيه، ووصفه بصفات الكمال والعظمة، وتنزيهه من النقص.

٢- النصيحة لكتاب الله: النصيحة لكتابه ســـبحانه وتعـــالى: الإيمان بأنه كلام الله تعالى -حروفه ومعانيه- منه بدأ وإليه يعـــود، منزَّلٌ غير مخلوق، تكلم الله به حقاً، وألقاه إلى جبريل فنـــزل بـــه جبريل -عليه السلام- على محمد ﷺ، ثم الاهتمام بتلاوته والخشوع عندها، وحفظه، وتفسيره، والذب عنه، ودحض تأويـــل المحـــرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والاعتقاد بأنه منهج للحيـــاة شامل كامل صالح لكل زمان ومكان، وبذل ما في الوسع لإقامـــة حكمه، والعمل به، والوقوف عند أحكامه وتفهم علومه وأمثالـــه، والاعتبار بمواعظه، والتصديق بأخباره والتفكير في عجائبهن والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه. والاهتمام بتعلمه وتعليمه عملاً بقوله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وتعلمه**» [رواه البخاري].

٣- تصديقه النصيحة لرسول الله ﷺ النصيحة لرسول الله ﷺ تصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمـــره ونهيه، ونصرته حيًا وميتًا، ومعاداة من عاده، وموالاة مـــن والاه،

وإعظام شريعته، ونفي التهمة عنها، ونشــر علومهــا والتفقــه في معانيها، والتلطف في تعلمها وإعظامها، وإجلالها، والتأدب عنــد قراءتها والإمساك عن الكلام فهيا بغــير علــم، وإجــلال أهلــها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيتــه وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه؛ فالنصيحة للرسول ﷺ هي محبته حبًا يفوق محبة الــنفس والأهــل والولد والنسا أجمعين عملاً بقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحــدكم حــتى أكون أحب إليه من ولــده ووالــده والنــاس أجمعــين**» [رواه البخاري].

٤- النصيحة لأئمة المسلمين: وتكون بإعانتهم على ما حُمِّلوا القيام به، ومعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ما لم يبلغهم مــن حقــوق المسلمين، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، والاتصال بهم وإخبــارهم بعيوبهم، وتذكيرهم بالله تعالى واليوم الآخر، وأمــرهم بــالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحثهم على الزهد والورع والعــدل، ومجانبــة الظلم.

ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهــم، والجهــاد معهــم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهــر منــهم ضعف أو سوء عشرة أو فجور أو ظلم؛ ما أقاموا الصــلاة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعا لهم بالصلاح، وهذا كلــه على أن المراد بأئمة المسلمين؛ من يقومون بأمور المسلمين ويحكمون شرع الله تعالى، وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هــم العلمــاء

فتكون نصيحتهم بتوقيرهم وأخذ العلم عنهم، واتباعهم في الأحكام وإحسان الظن بهم.

٥- النصيحة لعامة المسلمين: هي في إرشادهم لمصـــالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم؛ فيعلمهم ما يجهلونـــه مـــن دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهـــم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف نهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كـــبيرهم، ورحمـــة صغيرهم، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذبّ عن أمـــوالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحـــثهم علـــى التخلق بجميع ما ذكرناه مـــن أنـــواع النصـــيحة وتنشـــطهم إلى الطاعات.

الدروس المستفادة من حديث "الدين النصيحة":

١- الأمر بالنصيحة، والتأكيد عليها، حتى جعلت كأنها الدين كله للاعتناء بها.

٢- إن النصيحة تسمى دينًا إسلامًا، والإســـلام قـــائم علـــى التناصح.

٣- إن على العالم أن يأتي بالأمر المهم إجمـــالاً، ثم يـــأتي بـــه تفصيلاً ليتأهب السامع فيتطلع إلى بيان هذا المجمل؛ فيكون أوقع في النفس وأدعى للقبول.

٤- إن النصيحة واجبة على كل مسلم لأخيه المسلم في كـــل

حال وزمان ومكان.

٥- إن النصيحة لأئمة المسلمين السمع لهم والطاعة بالمعروف وإعانتهم على الحق وإرشادهم فيما جهلوه أو غفلوا عنه، والوفـــاء بعهدهم وامتثال أمرهم على الحق.

٦- ومن الدروس المستفادة أن الدين يطلق على العمل لكون سمى النصيحة دينًا.

٧-ومن الدروس المستفادة أيضًا أن الدين ليس عقيدة وعبادة فقط، ولا معاملة فقط، كما يقول البعض، وإنما عقيـــدة وعبـــادة ومعاملات ونظام حياة.

آداب النصيحة

* أن تكون النصيحة لوجه الله وحده: بحيث لا يرجو الناصح إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة، فلا يكون غرضه من النصيحة أمراً من أمور الدنيا أو الرياء، أو طلب السمعة. والنية في الإسلام أساس العمل، والإخلاص فيها من أهم عوامل القبول عند الله تعالى وعند المنصوح.

* أن لا يكون الهدف انتقاصًا أو تشهيراً: والواجـــب علـــى الناصح إشعار المنصوح بأن المقصود إرادة الخير له، ومحبته وأنـــه لا يرجو من وراء نصحه إلا رضا الله تعالى، وأن الذي دفعه لنصـــحه خوفه عليه من الوقوع في غضب الله، وعملاً بقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [رواه مسلم].

* أن تكون النصيحة سراً: يجب على الناصح ألا ينصح أخـــاه إلا منفردا، وبها يستطيع أن يتحدث معه بكل وضوح فلا يخشى رد فعل في ذلك؛ لأن النصح على الملأ قد يوقظ في نفـــس المنصـــوح مداخل الشيطان، وتأخذه العزة بالإثم ويقابل النصح برد، وبـــذلك يكون الناصح عوناً للشيطان على أخيـــه المنصـــوح؛ لأن الـــنفس البشرية لا تقبل أن يطلع أحد على عيوبها. ولقد كان أدب الرسول ﷺ في إنكار المنكر أنه إذا بلغه عن جماعة ما ينكر فعله لم يـــذكر أسماءهم علنًا، وإنما كان يقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**» ففيهم من يعينه الأمر أنه هو المراد بهذه النصيحة، وهذا من أرفـــع أساليب النصح والتربية وأغلاها، وهو من سنة نبينا محمد ﷺ.

* أن تكون النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة: فعلى الناصح أن يجعل قول الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـــنُ**﴾ حكمـــة يســـير عليهـــا، والمطلوب من الناصح أن يدعو الناس بالأســـلوب الحســـن الهـــين السهل، ويكون لطيفًا معهم رفيقًا بهم، والرفق في النصح يأتي بالخير قال ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شأنه**» [رواه مسلم].

* اختيار الوقت والظرف المناسب: من الضروري أن يفطـــن الناصح لمراعاة المقام المناسب للنصيحة حتى يوفق في نصيحته، وعلى الناصح أن يراعي بعض الأمور منها: أن لا يكون المنصوح مشغولاً بأمر ما؛ لأنه لا يستوعب ما تقول له وربما ينفر منك، أو يطلـــب منك البعد عنه، ويفضل أن يكون وحده؛ لأن الإنسان يحـــب أن يظهر أمام غيره بالكمال وأنت تنتقضه.

فضل الدلالة على الخير من ثمار النصيحة

* قال ﷺ: «**من دلَّ على خير فله مثــل أجــر فاعلــه**». [رواه مسلم].

* قال ﷺ: «**الدّال على الخير كفاعله**» [صحيح: الترمذي].

* قال النبي ﷺ: «**فوالله لأن يُهدى بك رجل واحد خير لك من حُمْر النعم**» [رواه البخاري]

*قال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجــور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا..**» [رواه مسلم].

إن هذه الأحاديث تحثّ المسلمين على المسارعة في عمل الخير، ومهما قلَّ هذا الخير فقد يجعل الله في خيراً كثيراً، والدلالة على الخير جزء من النصيحة؛ لأهما هدفهما واحد، وهو إرشــاد النــاس إلى طريق الخير وتحذيرهم من البشر، وكل من يهتدي بيد الناصــح أو بسبب دعوته وإرشاده فله قسط كبير من الحسنات تماثل حسنات صاحبه، ولا ينقص من حساب صاحبه شيء.

وأخيراً: ليس منا من لا يخطئ ولا ينحرف عن طريق الحق، بل إن فينا من الغرائز والطباع ما يميل بنا إلى الرشد والغــي والخــير والشر، وليس كل إنسان يعرف خطأه أو يهتدي إليه.

ومن الضروري –أخي المسلم– أن تعلم أنه يجب عليــك أن تقدر أيضاً طباع الناس وغرائزهم وأنه ليسوا ملائكــة ولا أنبيــاء فالخطأ موجود، والزلل حاصل، والأمر كما قال الأول:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلُّها

ولهذا كان من حق الأخ على أخيه أن يبصِّره بعيبه وينصح له في أمره، وإذا تساهل الناس في هذا الحق؛ فإن الصديق يفـــرض في صديقه ويهمل الأخ أخاه، وتسوء العلاقات، وتنقلب الصداقات إلى عداوات ويصبح المجتمع فوضى يموج البشر والإثم.

وبالعكس إذا اتسمت الأمة بخلق التناصح فيما بينها فلا نـــرى حينئذ إلا حقاً محترماً وثقة بين الناس، فلا خيانة ولا غش ولا اتهام ولا تجريح، ويسود الأمن والطمأنينة في سائر المجتمع، كما كـــان الرعيل الأول من سلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين، وجعلنا على خطاهم سائرين وبنهجهم آخذين، وبأفعالهم عاملين، وبـــدعواتهم داعين، وبهديهم مهتدين، وهذا آخر ما تيسر إيراده. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.